



الفصل الخامس

الكناية الساخرة

الفصل الخامس

الكناية الساخرة

السخرية في مدلولها العرفي واضحة محددة لا تلتبس بمعنى آخر، ويدور في معناها، بل يؤدي معناها عدة ألفاظ أوضحها: التهكم والاستهزاء، ولا شك في أن السخرية أسلوب وسلاح عدائي، مهما كانت دوافعها، ومهما كان مقامها، ومهما صغرت درجتها في العداء أو كبرت، ويتميز هذا الأسلوب من غيره من أساليب العداء بأنه مصوغ بروح الفكاهة وأسلوبها^(١).

وعلماء النفس حينما يبحثون في طبيعة السخرية فإنما يبحثونها كجزء من ظاهرة عامة في الطبيعة البشرية، فيقولون مثلاً: الأيذاء والضحك والمرح والفكاهة والمزاح والدعابة والهزل والنكتة والملحة والنادرة والكوميديا أن هي إلا ظواهر نفسية من فصيلة واحدة، وكلها إنما تصدر عن تلك الطبيعة البشرية المتناقضة، التي سرعان ما تمل حياة الجد والصرامة والعبوس، فتلتبس في اللهو وترويحاً عن نفسها، وتبحث في الفكاهة عن منفذ للتنفيس عن الآمها، وتسعى عن طريق النكتة نحو التهرب من الواقع الذي كذباً ما يتقل كاهلها^(٢)، وبناءً على هذا يجمع علماء النفس هذه الأنواع وما يشابهها ويجعلونها ظاهرة واحدة، ويجعلون الضحك عنواناً لها، لأن الضحك هو النتيجة المباشرة لكل هذه الأنواع، وهو جزء أساس من هدف كل هذه الأنواع، وقد حظرت هذه الظاهرة اهتمام الفلاسفة والباحثين، فعنوا ببحثها ودراستها منذ أفلاطون وأرسطو حتى الباحثين المعاصرين^(٣). فهم يرون أن الضحك - الذي جعلوه عنواناً للظاهرة من حيث هي - ناشيء في الأصل عن الشعور بالانتصار في معركة جسمية بدائية^(٤)، وحينما يقسم علماء النفس هذه الظاهرة إلى أكثر من نوع، فإن الشعور بالانتصار أو التفوق يلايس كل نوع، فيقولون: "الضحك نوعان: إيجابي وهو الضحك المنعش ينبعث عن شعور المرء بتفوقه على خصمه، عن

(١) ينظر: أسلوب السخرية في القرآن الكريم، ص ١٣.

(٢) سيكولوجية الفكاهة والضحك، د. زكريا إبراهيم، ص ٨.

(٣) المصدر نفسه، ص ٨. وينظر: أسلوب السخرية في القرآن الكريم، ص ١٣-١٤.

(٤) سيكولوجية الفكاهة والضحك، ص ١٢٣.

شعور المرء بتفوقه على خصمه مسلمي وهو ضحك حزين متجههم، وهو المتولد عن الشعور بنقص الآخر أو ضعفه أو ضعفه. أعني أنه ضحك الاحتقار والأزدراء^(١)، وواضح أن النوع الثاني مقصود به (السخرية) لأن "ضحك الاحتقار والأزدراء" هو معنى السخرية. وكذلك يفعل الباحثون الذين يسمون هذه الظاهرة باعتباره مصدرها الانفعالي، فيرون أن نوع الفكاهة يخضع لنوع الانفعال الذي أثارها، ومن ذلك أن "انفعال الغضب يولد الفكاهات العدوانية والسخرية"^(٢). فالسخرية إذن نابعة من انفعال عدواني بين خصمين ولكن الخصم الأقوى والأقندر منهما هو الذي يستطيع أن يسخر من الآخر، وهذا أيضاً تليد لأن الضحك - عنوان السخرية - مظهر من مظاهر الانتصار والتفوق^(٣). فالسخرية في ضوء ذلك أسلوب عدائي مصوغ بروح الفكاهة، إلا أن هذا الأسلوب لا يتاح نفسياً ولا واقعياً إلا لمن كان بيده زمام الموقف والذي يشعر بأنه القوي القادر على الانتصار^(٤).

أما السخرية في القرآن الكريم فقد ينظر إليها بعضهم على أنها لا تدفق وجلالة القرآن من حيث إنه كلام الله، لذلك لا يسوغون نسبة السخرية بمعناها المفهوم إلى الله ﷻ، لكن يجب القول: إن القرآن بصفته ناطقاً بلسان المسلمين يجعل الصور الساخرة التي ساقها، ومنها (الكنائيات الساخرة) يجعلها كأنها صادرة من المسلمين أو ممثلة لموقفهم، وذلك لأن القرآن في كل اتجاهاته يحشد كل أسلحته وطاقاته ليعزز مركز المسلمين ويدفعهم إلى النصر، وفي الوقت نفسه يحطم مركز أعداء الاسلام ويدفع بهم إلى الهزيمة أو الشعور بها أو توقعها^(٥). وبذلك يقدم القرآن بصور السخرية من أعداء المسلمين حوافز معنوية وروحانية للمسلمين وهم يدافعون عن الاسلام متحملين ضرورياً شتى من المشقة والبلاء والإيذاء، فضلاً عن ذلك اتخذ أعداء المسلمين من السخرية سلاحاً نفسياً مؤثراً يريدون به تحطيم عزم المسلمين والنيل من ثقتهم في أنفسهم بدينهم.. إلا أن القرآن يتصدى لهم

(١) م. ن. ص ١٢٣.
(٢) سيكولوجية الفكاهة والضحك، ص ١٩١.
(٣) أسلوب السخرية في القرآن الكريم، ص ١٥.
(٤) ينظر: المصدر نفسه، ص ١٥.
(٥) ينظر: المصدر نفسه، ص ١١-١٢.

بسخرية أبلغ وقعاً، وأشدّ تحطيماً، وأنفذ سهماً^(١)، كما سنلاحظ في صور الكنايات الساخرة التي تمثل جانباً ملحوظاً من أسلوب السخرية في القرآن.

على أنه ليس هناك ما يمنع من نسبة السخرية إلى الله سبحانه، يقول الزمخشري: " فإن قلت لا يجوز الاستهزاء على الله لأنه متعال عن القبيح والسخرية من باب العيب. فما معنى استهزائه بهم؟ قلت معناه إنزال الهوان والحقارة بهم، لأن المستهزئ عرضه الذي يرميه هو طلب الخفة والزراية بمن يهزأ به وإدخال الهوان والحقارة.. وقد كثرت التهكم في كلام الله تعالى بالكفرة، والمراد به تحقير شأنهم وإزدراء أمرهم، والدلالة على أن مذاهبهم حقيقة بأن يسخر منها الساحرون ويضحك الصاحكون^(٢)، ثم يقول عقب ذلك: " وفيه أن الله ﷻ هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء الأبلغ، الذي ليس استهزاء وهم إليه باستهزاء ولا يؤيه به في مقابلته، لما ينزل بهم من النكال ويحل بهم من الهوان والذل، وفيه أن الله هو الذي يتولى الاستهزاء بهم، انتقاماً للمؤمنين ولا يحوج المؤمنين أن يعارضوهم باستهزاء مثله " ^(٣).

والسخرية في القرآن الكريم ليست مجرد تهجم أو هجاء أو تهوين شأن، وهي ليست مجرد أسلوب فكه يثير النفوس أو يبعث على الضحك، وإنما هي وسيلة لتحقيق أهداف على جانب كبير من الأهمية سواء من الناحية النفسية، أو من الناحية الاجتماعية، ومن ثم فإن القرآن الكريم لم يختار أسلوب السخرية من أعدائه ليكون مجرد تهكم أو استهزاء أو تحقير، وإنما اختاره لأهداف أبعد، وأغراض أعمق.. كما أن القرآن نقل اتباعه فيما يشبه الطفرة من السخرية البدائية أو القريبة من البداوة التي يحدسها علماء النفس في التهكم من العيوب الجسمية أو النقص الشكلي والمادية إلى السخرية الحضارية المتطورة التي تخفي وراء مظهرها البسيط أغراضاً هادفة إلى نواح معينة تنحصر في الإصلاح ومحاربة الرذيلة، والدعوة إلى المثل العليا والمبادئ القومية والسلوك الصحيح، وبهذا يكون القرآن قد سما باتباعه من اتخاذ السخرية مجرد سلاح للتحطيم والهدم كما كانوا يالفون في الهجاء ^(٤) إلى جعلها وسيلة إصلاح وتهذيب.

(١) ينظر: المصدر نفسه، ص ١٢.

(٢) الكشف: ١ / ١٨٦-١٨٧.

(٣) الكشف: ١ / ١٨٧-١٨٨.

(٤) ينظر: أسلوب السخرية في القرآن الكريم، ص ٢٥-٢٦.

وكذلك حينما ننظر إلى الكنايات الساخرة في القرآن الكريم نجدها في طبيعتها سلاحاً يستخدمه القرآن ضد أعداء المسلمين المتنوعي الألوان والوجوه.. وهي - في الأعم الأغلب - تستهدف أئمة الكفر والشرك الذين يسدون العداء للإسلام والمسلمين بكل ما أوتوا من قوة وتفكير وتدبير، لذلك ميزهم القرآن بتعابير كنادية ساخرة ذنال منهم نيلاً عظيماً بوصفهم خطراً يهدد المسلمين. وقد عرض القرآن الكريم طرفاً من خطرهم وسخريتهم، من ذلك - مثلاً - سخريتهم بالرسول ﷺ بكل ما تحمل هذه السخرية من تهكم لاذع واستهانة بشخصه ﷺ، كما يقول الزمخشري في تفسير قوله - تعالى -: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرٌ﴾^(١) وفي هذا استهانة وتصغير، وتسميته بالرسول سخرية منه ووطنز^(٢) كأنهم قالوا: ما لهذا الزاعم أنه رسول.. أي إن صح أنه رسول الله فما باله مثل حالنا يأكل الطعام كما نأكل، ويتردد في الأسواق لطلب المعاش كما نتردد^(٣).

وسنحاول في هذا الفصل عرض فكرة السخرية في حدود ما وردت في إطار الفن الكنائي بوصفه وسيلة حيوية في التعبير والتصوير تحقق أهدافها ومقاصدها التي يبتغيها القرآن.

الوسم على الخرطوم :

وردت هذه الكناية التصويرية الساخرة وصفاً للوليد بن المغيرة المخزومي وهو من ألد أعداء الإسلام وأكثرهم خطورة، وقد بلغ من السيادة والمجد في قومه مرتبة لم يبلغها شخص آخر، وكان له عشرة بنين، فكان يقول لهم وللمتة: من أسلم منكم منعته رقي^(٤) وقد شهد القرآن نفسه للوليد بعمق التفكير، وبعد التدبير، وشهد له بأهم مقومات القوة والسيادة في المجتمع حينذاك منها: كثرة الأموال، ووفرة البنين، وذلك في قوله - تعالى -: ﴿ذَرَىٰ وَمَنْ خَلَقْتَ وَحِيدًا ۖ وَجَعَلْتَ لَهُ مَالًا مِّثْلُونًا ۖ وَبَيْنَ شُهُودًا ۖ وَمَهَّدْتَ لَهُ تَهَيِّدًا ۖ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ يَزِيدَ ۖ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عِيدًا ۖ سَأَرْفُقُهُ صَغُورًا ۖ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۖ فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۖ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۖ ثُمَّ نَظَرَ ۖ

(١) سورة الفرقان، الآية: ٧، وينظر: الإبيتين: ٨ - ٩ من السورة نفسها، مثلاً.

(٢) الطنزي: السخرية. ينظر: لسان العرب: ٥ / ٣٦٩ (طنز).

(٣) الكشف: ٣ / ٢٠٩.

(٤) ينظر: الكشف: ٤ / ٤٧٠. وتفسير الجلالين، ص ٧٥٢. وينظر: لباب الثقول في أسباب النزول، ص ٧٥٣.

﴿ثُمَّ عَيسَى وَنَسْرٌ ۖ ثُمَّ أَدْرَبْ وَأَشْكَبْ ۖ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا حَرُوتٌ وَنُفُوتٌ ۖ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ۖ سَاحِلِيهِ مَسْرٌ ۖ وَمَا أَدْرَكَهُ مَا سَقَرٌ ۖ لَا بُدَّيْ وَلَا نَذْرٌ ۖ تَوَاسَّ لِلْبَشَرِ ۖ﴾ (١)

وقد استخدم الوليد بن المغيرة سيادته ومجده وقوته وسلطانه في حربته لسلام والمسلمين، لذلك فالقرآن يهاجمه مهاجمة عنيفة شديدة، تشوه كل مقومات مجده وسيادته، ثم تنصب السخرية اللاذعة على شخصه، فهذا الشخص القوي المتسلط صاحب المال والبنين والفكر والتقدير، الذي يملأ قلوب أتباعه إعجاباً وإكباراً بمظهره وجلاله، ثمسخ الكناية الساخرة هذا المظهر، لتصوير مكانه صورة ساخرة، تشوه منظره، وتثير الضحك والسخرية منه بما يشبه الرسم الكاريكاتيري (٢)، وذلك في قوله - تعالى - ﴿وَلَا تَطْعَمُ كُلُّ عِلَافِي مَهِينٍ ۖ هَمَّازٌ مَشَامٌ يَنْسِيمُ ۖ مَنَاجٍ لِلْخَيْرِ مُغْتَابٍ ۖ عَتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ رَنِيمٌ ۖ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ۖ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۖ سَيَسْأَلُهُ عَلَى الْخُرُومِ ۖ﴾ (٣)

الكناية التصويرية ﴿سَيَسْأَلُهُ عَلَى الْخُرُومِ﴾ (٤) تخرج لنا الوليد وقد تشوه منه أبرز موضع في أكرم عضو من الإنسان يشير إلى العز والحمية، قال الزمخشري: "الوجه: أكرم موضع والأنف أكرم موضع من الوجه لتقدمه له، ولذلك جعلوه مكان العز والحمية، واستنقوا منه الأنفة، وقالوا: الأنف في الأنف، وحسب أنفه، وفلان شامخ العرنيين، وقالوا في الذليل: جدد أنفه، ورغم أنفه، فعبر بالوسم على الخرطوم عن غاية الإذلال والإهانة، لأن السمة على الوجه شين وإذالة، فكيف بها على أكرم موضع منه" (٥).

فالكناية تكثف دلالة السخرية، فضلاً عن الإذلال والإهانة، بعد أن نال من مقومات اختياله وفخره بالمال والبنين، ومكانته ونسبه، فقد تحول بالكناية إلى صورة أشبه بحيوان ذي خرطوم قد وسم بعلامة بشعة منقرة تثير الضحك والسخرية منه.

والكناية توحى بنوعين من الإذلال والإهانة، أولها: الوسم فهو يوهم كما يوهم الحيوان والعبد، فهو عار لا يتمحي عنه، فهو ملازم له، والثاني: جعل أنفه خرطوماً

(١) سورة المدثر، الآيات: ١١-٢٩.

(٢) ينظر: أسلوب السخرية في القرآن الكريم، ص ١٣١.

(٣) سورة القلم، الآيات: ١٠-١٦. خلاف: كثير الحلف بالباطل. همَّاز: عياب، أي مغتاب. مشاء بنميم: ساع بالكلام بين الناس على وجه الإقصاد بينهم. عتل: غليظ جاف. رنيم: دعي في قریش. ينظر: تفسير الجلالين، ص ٧٥٢.

(٤) الخرطوم: الأنف. تفسير الجلالين، ص ٧٥٣.

(٥) الكشف: ٤ / ٤٧٢. وينظر: التفسير الكبير: ٣٠ / ٨٦.

كخرطوم الفيل في ضخامته وذلك لتشويه ضخامته المهيبة في نفوس أتباعه. ولتكون صورة مثيرة للتفكير العميق " حين نرى شخصية عظيمة في عين أتباعها، يرن ذكرها وجلالها في نفوس الأتباع وقلوبهم، فقد سلّت هذه الشخصية من مجدها وهالتها، لتوضع في هذا المنظر المضحك المزري، وليتمثل أتباع الوليد حين تتحول صورته الضخمة المهيبة في نفوسهم إلى ضخامة فيل مثلاً مشوه الخرطوم، ولتختل الفارق بين نظرة الإكبر والإجلال التي ينظرون بها إليه، ويتمثلونه بها في نفوسهم، وبين نظرة الضحك والسخرية التي ينظرون بها إلى صورته هذه التي رسمتها سخرية القرآن " (١)

وبذلك تنال الكناية في تصويرها الأساخر من عدو الاسلام والمسلمين على نحو تجعله سخرية الساخرين أبد الدهر تنملي صورته الزرية المضحكة العقول والنفوس.

السَّعْجُ بِالنَّاصِيَةِ :

وردت هذه الكناية الساخرة والتي تحمل في طياتها غاية الإهانة والتحقير والسخرية، في شخص لا يقل عداوةً وطغياناً عن الوليد بن المغيرة هو عمرو بن هشام (أبو جهل) (٢) ومن عداوته للمسلمين أنه كان يتعرض بالسخرية لمن يصلي من المسلمين ومنهم الرسول ﷺ فيسخر منهم وينهاهم عن الصلاة. ولكن القرآن الكريم يسخر من مصدر قوته ويحكم به ويهدده ويتوعد به. ثم تصوره الكناية مقبوضاً من ناصية رأسه الكاذبة الخاطئة طالبا منه أن يدعو نادية بما فيه من أئمة الكفر والشرك من ملته الذين يركن إليهم ويعتز بهم ويكابر لينفذوه مما هو فيه من هوان: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ﴿١﴾ أَن زَاهَا أَسَافٌ ﴿٢﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجُوعَ ﴿٣﴾ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَدْعُو عِبَادًا مَّسْكِينَ ﴿٤﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهَدْيِ ﴿٥﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ﴿٦﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٧﴾ أَرَأَيْتَ بِأَن لَّهُ بُرْءً ﴿٨﴾ كَلَّا لَئِنْ لَّمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿٩﴾ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِلَةٍ ﴿١٠﴾ فَلَيَنفُخُنَّ نَادِيَهُ ﴿١١﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانَةَ ﴿١٢﴾ كَلَّا لَا تُلْمُهُمْ وَسَلِّدْ وَأَقْرِبْ ﴿١٣﴾﴾ (٣)

قال الزمخشري: " ﴿كَلَّا﴾ ردع لأبي جهل وخسوء له عن نهيه عن عبادة الله تعالى وأمر بعبادة اللات، ثم قال ﴿لَئِنْ لَّمْ يَنْتَهِ﴾ عما هو فيه ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ لنأخذن بناصيته

(١) أسلوب السخرية في القرآن الكريم ، ص ١٣١.

(٢) ينظر: لياق النقول في أسباب النزول ، ص ٨١٧.

(٣) سورة العلق ، الآيات: ١٤-٦.

ولنسحبته بها إلى النار" (١) والسَّعْ: القبض على الشيء وجذبه بشدة. ﴿تَأْسِيراً كَذِباً خَائِبَةً﴾ وصفها بالكذب والخطأ على سبيل المجاز المرسل لعلاقة الجزئية، إذ ذكر الجزء (الناصية) وأريد الكل. فالكذب والخطأ في الحقيقة لصاحب الناصية وفيه من الحسن والجزالة والحيوية ما ليس في قولك: ناصية كاذب خاطيء. ﴿فَلْيَعْزُؤْا وَيُكَيِّدْ﴾ والنادي: المجلس الذي ينتدي فيه الأَوم، والمراد: أهل النادي (٢).

وفي الكناية: ﴿لَتَنْفَعَنَّ الْبَاقِيَةَ﴾ تَبْلُغُ السخرية من أبي جهل سبلغها في الصورة والمعنى، في الصورة نرى أبا جهل وقد قُبِضَ على ناصيته بقوة وشدة جذب، ثم يُجَرَّ ويُجَذَّب بقوة وعنف، وهذه الصورة التي عليها أبو جهل تمثل صورة من العذاب لها وقعها وتأثيرها البالغ في مجتمع كالمجتمع العربي، إذ إن أي صورة من صور العذاب أو الهوان أخف وأيسر في وقعها من هذه الصورة التي رسمتها الكناية فتصويره مكتلاً بالأغلال، أو معذباً في جهنم، أو أي شيء من ذلك، لا يبلغ منه ولا يحيط من منزلته في المجتمع ما يبلغه التصوير الكنتي هنا، وهو يتناول شخصاً يملأه الغرور، ويسيطر عليه الشعور بالعزة التي لا تُمَسُّ، والقوة التي لا تُقهر كأي جهل (٣).

أما المعنى المُكنى عنه الذي تشير إليه هذه الصورة الزرية فإنه يتمثل في غاية الإهانة والتحقير والسخرية من قوته وجبروته، فضلاً عن ذلته واستكانته واستسلامه. ولا يخفى ما في استخدام أسلوب المجاز المرسل المتصل بالكناية في موضعين من السياق: ﴿تَأْسِيراً كَذِباً خَائِبَةً﴾ و ﴿فَلْيَعْزُؤْا وَيُكَيِّدْ﴾ من زيادة المعنى قوة وتأكيداً، إذ إن إسناد الكذب والخطأ للناصية دون صاحبها يُوحى على نحو من التوكيد بتكبره واختياله وعييه وضلاله، كما يُوحى بقوة التهديد والوعيد وشدة العذاب الذي ينتظره، ولا يعصمه من هذا العذاب قوته التي يُفاخر بها ويكابر كما دلّ المجاز المرسل الآخر ﴿فَلْيَعْزُؤْا وَيُكَيِّدْ﴾ إذ ذكر المحل وأراد الذي يحل فيه، وهي القوة التي يركن إليها من أئمة الكفر والشرك من ملأه، وفي هذا المجاز إحياء بشدة القوة التي يركن إليها ويفاخر بها، ولكن فيه من جانب آخر إحياء بشدة عذابه وسوء مصيره، وقد صوّرت الكناية الساحرة جذباً منه.

(١) الكشف: ٢٢٠ / ٤.

(٢) ينظر: الكشف: ٢٢٠ / ٤.

(٣) ينظر: أسلوب السخرية في القرآن الكريم، ص ٢٠٨.

ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ :

إذا كانت الكناية السليقة سخرت من أبي جهل غيلة السخرية وتوعنته بأشد العذاب وأفظعه، فلماذا في هذه الكناية التي قيل أنها نزلت في أبي جهل أيضاً^(*)، تطلعننا على العذاب المادي والمعنوي الذي ينتظره هناك في نار جهنم، العذاب المادي الشديد كما يصوره السيق، والعذاب المعنوي من تأنيب وسخرية وتزئيل كما تصوره الكناية التي تشكلت في هذا السيق الشديد الإيحاء والتركيب في تصوير عذاب أبي جهل بنوعيه، نقرأ ذلك في قوله - تعالى - : ﴿ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاكِهِ الْجَحِيمِ ﴾ ثم صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾^(١)

فالشدة والعنف تتجلى من إيحاء الالفاظ التي تكون صورة العذاب، من ذلك لفظ ﴿ خُذُوهُ ﴾ فإنه يوحي فوق أخذ الكافر إلى جهنم، فإن فيه تهويئاً من شأنه وذلك بسلب كل ارادة أو كيان معنوي منه، الكافر - كما يوحي اللفظ - مجرد شيء ينقل من مكان إلى مكان، ثم كلمة ﴿ سَوَاكِهِ ﴾ بما تبرزه في النفس من تصور لوسط الجحيم أو قعره أو تظليه، ثم كلمة ﴿ صُبُّوا ﴾ وما فيها من سخرية وشدة بتصوير الصب فوق رأسه من العذاب كما يُصب الماء، فـ ﴿ صُبُّوا ﴾ استعارة مكنية تصور شدة العذاب الأليم الذي هو فيه، حيث شبه العذاب بالحميم الأليم الشديد الحرارة، ثم حذف المستعار منه ودل عليه رادفه الفعل ﴿ صُبُّوا ﴾ ، فالاستعارة تُوحي بلذع العذاب الشديد الأليم^(٢).

وفي ذلك مفارقة في تصور المقابلة بين صب الماء وصب العذاب، والحرف ﴿ مِنْ ﴾ الذي يوحي بالتجرع البطيء للعذاب^(٣)، ويتركز إيحاء شديد بالعذاب والإهانة باللفظ ﴿ فَاعْتِلُوهُ ﴾ يقال: " عدله جره جراً عنيفاً وجَذَبَهُ " وقيل: العَتَلُ: أَمَّ تَأْخُذُ بِتَلْبِيبِ الرَّجُلِ فَتَعْدِلُهُ أَيْ تَجْرَهُ إِلَيْكَ وَتَذْهَبُ بِهِ إِلَى حَبْسٍ أَوْ بَلِيَّةٍ. ويقال: لَا أَعْتَلُ سَعَكَ شَبْرًا أَيْ لَا أَبْرَحُ مَكَانِي، والعَتْلَةُ: المَتْرَةُ الْكَبِيرَةُ تَنْقَلَعُ مِنَ الْأَرْضِ، والعَصَا الضَّخْمَةُ مِنْ حَدِيدٍ لَهَا رَأْسٌ مُقْلَطٌ تَكُونُ مَعَ الْبِنَاءِ يَهْدَمُ بِهَا الْحِيطَانُ، والهَرَاوَةُ الْغَلِيظَةُ^(٤)، فمادة اللفظ تدور حول الشدة والعنف، وتُوحي بصورة من العذاب مخيفة مفرعة يُؤخذ بها الكافر.

(*) ينظر: لمباب الثقول في أسباب النزول ، ص ٦٥٩.

(١) سورة النخان ، الآيات: ٤٧ - ٤٩.

(٢) ينظر: الاستعارة في القرآن الكريم ، ص ١١٦.

(٣) ينظر: أسلوب السخرية في القرآن الكريم ، ص ٤٤١.

(٤) لسان العرب: ١١ / ٤٢٣ - ٤٢٤ (عتل).

وفوق هذا العذاب المقرع المخيف تأتي الكناية: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ وفيها سخرية بالغة وتهوين من شأنه وتأييد وترذيل، قال الزمخشري: "على سبيل الهمز والتهمك بمن كان يتعزز ويتكرم على قومه. وروي أن أبا جهل قال لرسول الله ﷺ: ما بين جبليها أعز ولا أكرم مني، فوالله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلوا بي شيئاً" (١).
والسخرية البالغة بأبي جهل تكثف من بذية الكناية القادمة على عكس ما يؤلف استعمال الألفاظ فيها، وذلك بأن يستعمل اللفظ الدال على معنى على ضده ونقيضه، وقد ورد مثال هذا الاستعمال الكنافي كثيراً في القرآن كما في قوله - تعالى -: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (٢)، وقوله: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٣)، وقوله: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٤)، ومنه قوله - تعالى - على لسان الذين كفروا من قوم شعيب ﷺ: ﴿... إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَكِيمُ الرَّشِيدُ﴾ (٥). ومن شأن هذا الأسلوب القرآني تحقيق دلالاته البلاغية المؤثرة في المتلقي، إذ إن التضاد الحاصل عن طريق العكس في الكلام يحقق إيصال معنى الآية على نحو أشد وقعاً، وأكثر إيغالاً في النفس المثقلة لما فيه من الإبدال التهامي والسخرية اللاذعة، لأن "البشارة يصح التعبير بها في مواطن الخير والكرامة، لا في مظاهر الشدة والعناء، وليس العذاب من مواطن الخير، حتى يبشر به العاصي، ولكنه تعالى أطلقه عليه تجوزاً من باب إطلاق اسم الضدين على الآخر للنكفية والتشفي، أو السخرية والتهمك" (٦).

ودلالة السخرية في الكناية ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ تتصاعد أيضاً بالاستعارة السكنية ﴿ذُقْ﴾، فالنوق هو فعل الحاسة المعروفة، وتستعمل عادة فيما يؤكل من المطاعم والمشارب، ولكن القرآن يستعيره لغرض تقريب المعنى باللباسه ثوباً حسيماً في تذوق نار شديدة التوهج والانتقاد، وربما وظف القرآن هذه الحاسة (النوق) من دون الحواس

(١) الكشف: ٢٢٣/٤.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٣٨.

(٣) سورة التوبة، من الآية: ٣.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٢٤. وينظر: سورة التوبة، الآية: ٣٤. وسورة لقمان، الآية: ٧.

وسورة الجاثية، الآية: ٨. وسورة الانشقاق، الآية: ٢٤.

(٥) سورة هود، من الآية: ٨٧.

(٦) مجاز القرآن خصائصه الفنية وبلاغته العربية، د. محمد علي الصغير، ص ١٤٧.

الأخرى لأن حس الذائق لإدراك ما يتذوقه قوي^(١) فهي أشد الحواس وأقواها إدراكاً في تذوق الأشياء عند الإنسان والله أعلم.

ولما كانت نار جهنم ليس لها طعم ليتذوقه الكافر حينئذ تتجلى السخرية منه على نحو جلي، فالاستعارة فيها قائمة على تشبيه العذاب بشيء يُذاق ثم حذفه وأبقى شيئاً من لوازمه وهو الفعل ﴿ذُق﴾ على سبيل الاستعارة المكنية وذلك ليعمق درجة الاحساس بالعذاب وألمه ومن ثم تأثيره في النفس.

ومن وراء هذا التركيب الكنائي الذي أشار إلى السخرية اللاذعة، فضلاً عن شدة العذاب وعنفه الذي يلاقيه عنو الاسلام والمسلمين أبو جهل، فإن التركيب الكنائي أبعد مدى من فرد نزلت فيه الآية، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما يقول المفسرون وأهل الأصول^(٢) فالصورة تدعم دلالتها فتشمل كل من يعادي الله ورسوله والمسلمين على مدار الزمان.

الضرب على وجوه الكافرين وأدبارهم:

تصوّر هذه الكناية ما ينتظر الكافرين من عذاب عند موتهم، وهو نوع من العذاب تتكف فيه السخرية والإهانة والإذلال، نقرأ ذلك في قوله - تعالى -: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾^(٣).

الكناية الساخرة هي: ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾، قال الزمخشري: "وعن مجاهد: وأدبارهم: أستاههم، ولكن الله كريم يكني، وإنما خصوهما بالضرب لأن الخزي والنكال في ضربيهما أشده"^(٤).

ومشهد ضرب الكافرين على وجوههم وأدبارهم من قبل الملائكة الذين يتوفونهم كما تصوّره الكناية مشهد يصوّر نوعاً من العذاب المهين، لذلك فالآية نذرت انتباه المتلقي إلى أن يتصوره ويتأمله ويدل على ذلك استهلال الآية بالأسلوب الخبري اللافت للنظر: ﴿

(١) ينظر: كتاب الصناعتين، ص ٢٧٥.

(٢) ينظر: التبيان في تفسير القرآن، للطوسي: ٩٣ / ٣، وينظر: البرهان في علوم القرآن: ١ / ٣٢، والاتقان في علوم القرآن: ١ / ١١٠. انظر: منهج الطوسي في تفسير القرآن الكريم، ص ١٩٢ - ١٩٣.

(٣) سورة الأنفل، الآية: ٥٠، ينظر: سورة محمد، الآية: ٢٧.

(٤) الكشف: ٢ / ١٧٩.

وَلَوْ تَرَىٰ.. فهو توجيه خطاب لكل من يرى هذا المشهد البارز وكأنه حالة دائمة كلما توقفت الملائكة الكافرين، وهو مشهد مروع يدل على ذلك حذف جواب (لو) وتقديره: "لرأيت أمراً فظيماً منكراً" (١)، حيث يترك لخيال المتلقي أن يتخيله فتذهب نفسه كل مذهب في تصويره، ثم يتحول الأسلوب في الآية على سبيل (الالتفات) من الغيبة في الإخبار عن الكافرين إلى خطابهم في أسلوب إنشائي في ختامها: ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ ليرد المشهد حاضراً مؤثراً في النفوس، فضلاً عن تصعيد دلالة السخرية في الكناية بالاستعارة المكنية ﴿وَذُوقُوا﴾ أي "ذوقوا عذاب الحريق أي مقدمة عذاب النار، أو ذوقوا عذاب الآخرة بشارة لهم به" (٢)، فالاستعارة الحسية تعمق تمثيلهم للعذاب، فضلاً عن إردافها هذا النوع من العذاب بالسخرية والتهكم بهم.

ودلالة الكناية فيما هو ظاهر لا تهدف إلى بيان شدة العذاب البدني الذي يلاقيه الكافرون عند الموت فحسب، وإنما تهدف أيضاً إلى التمهيد لعذاب أشد في الآخرة مجسّد في تصوير حسّي حي يشي بالسخرية ذلك أنه اختير مكانان للعذاب عليهما، وهما الوجه الذي يعد الضرب عليه من أقسى وسائل الإهانة والإذلال، والذبر الذي لا يلجأ إلى الضرب عليه إلا في الحالات النادرة وفي أقصى حالات الهوان والاحتقار، فهذا المعنى المتمثل في تحقير الكافرين والسخرية منهم هو الهدف البارز الذي تؤديه الكناية في الآية (٣) وهو المعنى الذي يتعمق باستعارة الذوق، وكان عذاب السخرية والإهانة بالضرب على الوجوه والأدبار هو تمهيد لعذابهم بالنار.

تولية الأدبار:

ويسخر القرآن بهذه الكناية في مواضع كثيرة من الكافرين كلما واجهوا المؤمنين في أرض المعركة. ففي كناية "تولية الأدبار" سخرية بالغة من الكافرين وتحقير لهم، فضلاً عن تصوير خوفهم وذعرهم وهزيمتهم النفسية بحركة تولية الأدبار المادية المشاهدة كلما التقوا

(١) نفسه: ٢ / ١٧٥.

(٢) نفسه: ٢ / ١٧٩.

(٣) ينظر: أسلوب السخرية في القرآن الكريم، ص ٣٧+.

بالمؤمنين. وهذه سنة الله لا تتغير ولا تبدل كما يُخبرنا القرآن بذلك: ﴿وَلَوْ تَسَوَّغْتَ لِكُلِّ الْفَاسِقِ أَنْ يُخَالِكَ مَلَائِكَةَ اللَّهِ تَوَدَّرَ عَنْهُمْ وَرَدَّهُمْ نَصَرْنَا لَعَذَابُكُمْ دُونَ الَّذِي نَبِئْتُمْ بِهُ﴾ (١) والكناية: ﴿لَوْ لَأَذْبَرْنَا﴾ والدُّبُرُ: "نقيض القُبُل، ودُبُرُ كُلِّ شَيْءٍ: عَقِبُهُ وموخره" (٢)، فالأدبار كناية عن (الاستاء) (٣)، فهي تشير إلى معنيين هما:

- ١ - الهزيمة والفرار من مواجهة المؤمنين.
 - ٢ - السخرية اللاذعة منهم بالكشاف أدبارهم للمؤمنين.
- وفضلاً عن ذلك فإن الكناية تقرر هذه الحقيقة الكبيرة، حقيقة نصر المؤمنين المخلصين على أعدائهم الكافرين حيثما التقوا، وإن أبدى الكافرون شدة وضاوة في بعض المعارك، إلا أن مصيرهم التخاذل والهزيمة والانتكاس بالمعنى الذي يلزم الصفات المذكورة، فضلاً عن أنه يفضحهم ويسخر منهم كما صورته الكناية.
- وما ذلك إلا لأن الكافرين محجوبون لا يفقهون ولا يعلمون، قلوبهم خلوية لا تستمد القوة من مصدر القوة الحقيقية التي يعتمد عليها المؤمنون ويتطلعون، وقد صورت الكناية نفسها حقيقة الكافرين هذه في موضع آخر في قوله - تعالى -: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذُكِّرْتُمْ بَكَ فِي الْعَرَاءِ وَحَدَّ وَلَوْ عَلَى آذَانِهِمْ نَقُورًا﴾ (٤).
- ﴿لَوْ لَأَذْبَرْنَا﴾ كناية عن فرارهم وهزيمتهم، وهم لا يقرون من عدو يطاردهم في أرض المعركة، وإنما هي الهزيمة الروحية والنفسية من استماع آيات القرآن التي تدعوهم إلى التوحيد والهدى والحقيقة التي هم عنها غافلون، لذلك يسخر منهم بهذه الكناية من حبهم واعتزازهم بالتهنئة المزعومة التي بها يشركون، فإذا سمعوا بالتوحيد نفروا على أدبارهم نفوراً (٥) كاشفين عن أدبارهم التي تفضحهم وتثير السخرية منهم.

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٢ - ٢٣. وينظر: السور الآتية: آل عمران، الآية: ١١١، المائدة، الآية: ٢١، والأحزاب، الآية: ١٥، والقمر، الآية: ٤٥، والحشر، الآية: ١٣.

(٢) لسان العرب: ٤ / ٢٦٨ (دبر).

(٣) ينظر: الكشاف: ٢ / ١٧٩.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٤٦. وينظر في هذه الكناية: الادبار عن آيات القرآن السور الآتية: الزمل، الآية: ٨٠، والروم، الآية: ٥٢، ومحمد، الآية: ٢٥، والمعارج، الآية: ١٧، والمنثر، الآية: ٢٣، والنازعات، الآية: ٢٢.

(٥) ينظر: الكشاف: ٢ / ٥٢٣.

خَرْقُ الْأَرْضِ وَبُلُوغُ الْجِبَالِ طُولًا:

ترد هذه الكناية الساخرة لتصور تلك المشية الخاصة التي يصطنعها بعض الناس والتي تُعد مظهرًا من مظاهر الانفصال النفسي في المجتمع، والكناية تطيع هذه المشية بطابع التكلف والتصنع وتنبئ عن ترفع صاحبها عن عامة الناس زهوًا وخيلاء، نقرأ ذلك في قوله - تعالى -: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَمًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ۝﴾^(١).

فالسخرية والتهكم يمن اعتاد هذه المشية تتجلى من هذا التعبير الكنائي، والمرح: شدة فرح ونشاط^(٢) ﴿لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ ۝﴾ لن تجعل فيها خرقاً بدوسك لها وشدة وطانك ﴿وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ۝﴾ بتطاولك، وهو تهكم بالمختال^(٣).

والسخرية والتهكم توضح في هذه الصورة الكنائية الساخرة من خلال ضعف هذا الإنسان الموصوف بهذه المشية التي ترسمها له كأنه يخرق الأرض بدكه إياها، وكأنه يطاول الجبال بشموخ أنفه ورفع هامته إلى السماء، وليس أحد يظن أن هذا المتعالي المترفع أنه سيخرق الأرض بمشيته، ولا أن يبلغ الجبال بطوله، ولكنها الكناية التصويرية التي تقرر هذه المشية بهذه الصورة الشديدة السخرية، سواء في نفس من يريد أن يمشيها، أو في نفس من ينظر إليه^(٤). وبهذا التصوير الساخر المؤثر يحقق القرآن هدفه في النهي عن هذه المشية التي تخالف مبادئ الإسلام بقدر لا يحققه النهي المجرد الضعيف الأثر في الحس والوجدان، فالنهي بالكناية يظل عالقاً في الذهن والنفس بما يتلبسه من مظاهر مادية في صورته المتهكمة المثيرة للضحك والتحقير من كل من تراوده نفسه أن يصطنع هذه المشية ويتكلفها.

ولا يخفى ما في الكناية من إحياء يدعو إليه القرآن بها يتمثل هذا الإحياء بالتعاطف النفسي بين أفراد المجتمع جميعاً، حيث يجعلهم يقفون على قدم متساوية، وصف متكفي، لا يترفع بعضهم على بعض وذلك من خلال سخرية القرآن سخرية شديدة من كل وضع يخالف مبادئ الإسلام كهذه المشية التي حاربها بالكناية الساخرة.

(١) سورة الإسراء، الآية: ٣٧.

(٢) أساس البلاغة، ص ٢٤٤: (مرح).

(٣) الكشف: ٢ / ٥٢٢.

(٤) ينظر: أسلوب السخرية في القرآن الكريم، ص ١٨١.

الصدف عن آيات الله :

ويسخر القرآن بالتصوير الكنائي من المكذبين بآيات الله المتكبرين عنها سخرية بالغة، وذلك في قوله - تعالى - : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَّقَ عَنْهَا سَتَجِرَى الَّذِينَ يَصْدِقُونَ عَنْ مَا بَيْنَنَا سَوَاءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِقُونَ ﴾ (١).

الكناية الساخرة ﴿ يَصْدِقُونَ ﴾ قائمة في بنيتها على الاستعارة المكنية حيث سببه المتكبر عن آيات الله المعرض عنها ببعير مصاب بداء الصدف، ثم حذف المشبه به (المستعار منه) وأبقى شيئاً من لوازمه وهو الصدف، وفي هذا التصوير الاستعاري يرتسم الذي يصدق عن آيات الله بصورة البعير الذي يعيل في مشيته، جاء في أساس البلاغة: " صدف عن الشيء صدوقاً: أعرض عنه ومن الكناية: رجل صدوف: أبخر لأنه كلما حدث صدف بوجهه لنلا يوجد بخره " (٢)، وقال الراغب: " صدف عنه: كصدف الجبل أي جانبه " (٣). والإعراض الشديد ملحوظ في الصدف، لأن المكذب بآيات الله المعرض عنها قد عرف صحة الآيات وصدقها ثم صدف عنها، قال الزمخشري: " ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ بعدما عرف صحتها وصدقها، أو تمكن من معرفة ذلك ﴿ وَصَدَّقَ عَنْهَا ﴾ الناس فضلاً وأضلَّ ﴿ سَتَجِرَى الَّذِينَ يَصْدِقُونَ عَنْ مَا بَيْنَنَا سَوَاءَ الْعَذَابِ ﴾ كقوله: ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَاباً قَوْفَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴾ (٤).

ومن وراء هذه الصورة القائمة على الاستعارة يتوارى خلف سجعها معنى مكنى عنه يثير السخرية من هذا المكبر عن آيات الله المعرض عنها يتمثل في حيوانية هذا التمثيل من البشر في تلك الصورة التي أخرجتها الاستعارة وهي ميل البعير في مشيته المثيرة للضحك.

شر الدواب :

(١) سورة الأنعام ، من الآية: ١٥٧.

(٢) مادة (صدف) ، ص ٢٥١.

(٣) المفردات ، ص ٤٠٨.

(٤) سورة النحل ، من الآية: ٨٨.

(٤) الكشف: ٦ / ٨٤.

يتصل هذا التعبير الكنائي بالكناية السابقة من حيث المعنى المتمثل في حيوانية ذمط من البشر يعمل على إثارة سخرية المتلقي وإزدرائه، نلاحظ ذلك في قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١) فهؤلاء الكافرين المصرون على الكفر وقد لجأوا فيه فلا يرجى منهم إيمان، هؤلاء شر من يدب على وجه الأرض.

إذن ﴿شَرَّ الدَّوَابِّ﴾ كناية ساخرة عن حيوانية الكافرين على الرغم من أن لفظ ﴿الدَّوَابِّ﴾ يشمل كل ما دب على وجه الأرض^(٢)، لكنه قد غلب على ما يركب من الدواب^(٣) في عرف العامة، فإطلاقه في هذا السياق يلقي ظل البهيمية على الذين كفروا، فهم قد حرموا أنفسهم من الإيمان لأنهم عطلوا أجهزتهم التي وهبهم الله إياها، وهي وسائل الإدراك والتعقل كما وصفهم القرآني موضع آخر: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٤) قال الزمخشري: "﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ﴾ أي أن شر من يدب على وجه الأرض. أو أن شر البهائم الذين هم صم عن الحق لا يعقلونه جعلهم من جنس البهائم، ثم جعلهم شرها"^(٥). فالتعبير كناية عن بهيميتهم، بل هم شر من البهائم^(٦) لأنهم مسلوبو العقل والوعي كما جسد التصوير الاستعاري ﴿الْمُكْمُ الْبُكْمُ﴾ حالهم وحقيقتهم وهم ليسوا صمًا وبكمًا في الحقيقة، ولكنه التصوير المطابق لواقعهم وحالهم عند انتفاء كل تفكير أو وعي عندهم، فهم لا يسمعون سماع هدى وإيمان ولا ينطقون بالحق، كما يشير هذا التصوير إلى إصرارهم على الكفر وتصميمهم عليه فلا يرجى منهم إيمان ولا يتوقع.

ولا يخفى ما وراء الكناية ﴿شَرَّ الدَّوَابِّ﴾ التي أخرجتهم في صورة الحيوان من إثارة للسخرية والضحك منهم وهم يدبون على الأرض.

لو تجدون ملجأ أو مخرجات أو مدخلًا لولوا إليه وهم يجمعون:

ويرسم القرآن صورة كاريكاتيرية كنادية تتضمن دلالة ساخرة من المنافقين تصور بحركتهم المادية المضطربة حالتهم النفسية المذعورة الخائفة، وذلك في قوله - تعالى -: ﴿

(١) سورة الأنفل، الآية: ٥٥. وينظر: الآية: ٢٢ من السورة نفسها.

(٢) ينظر: لسان العرب: ١ / ٣٦٩ (دب).

(٣) المصدر نفسه: ١ / ٣٧٠ (المادة نفسها).

(٤) سورة الأنفل، الآية: ٢٢.

(٥) الكشف: ٢ / ١٦٣.

(٦) ينظر: السور الآتية: الأعراف، الآية: ١٧٩. والفرقان، الآية: ٤٤.

وَيَحِلُّونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ بِشِرْكٍ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ ﴿١﴾ لَوْ يَحْدُوثُ مَلْجَأٌ أَوْ مَغَارَةٌ أَوْ مَدَخَلٌ أَوْ مَخْرَبٌ وَهُمْ يَحْمَحُونَ ﴿٢﴾

الآية: ﴿١﴾ لَوْ يَحْدُوثُ مَلْجَأٌ أَوْ مَغَارَةٌ أَوْ مَدَخَلٌ أَوْ مَخْرَبٌ وَهُمْ يَحْمَحُونَ ﴿٢﴾ تعبير كناني يشير إلى الخوف الشديد الذي يميز المنافقين من غيرهم، فهمز يتطلعون دائماً إلى مكان يلتجئون إليه وذلك لشعورهم الدائم بالمطاردة لأنهم يخفون جريمة كُبرى أجرموها وهي (النفاق) فيدور في نفوسهم دائماً: عن ملجأ أو مغارة أو نفق، أو أي مكان يحتمون به ويستترون فيه (٢). قال الزمخشري: ﴿٢﴾ مَلْجَأٌ مكاناً يلتجئون إليه متحصنين به من رأس جبل أو قلعة أو جزيرة ﴿أَوْ مَغَارَتٍ﴾ أو غيراناً أو ﴿مَدَخَلٍ﴾ أو نفقاً يندسون فيه وينجحرون (٣). فالخوف الشديد من طبيعتهم يسيطر عليهم سيطرة تفقد لهم الأتزان، ويصور شدة خوفهم الخاص بهم، ويعمقه الاستعارة المكنية ﴿يَحْمَحُونَ﴾ حيث شبههم في خوفهم الذي يدفعهم إلى الهروب بالفرس الجموح ثم حذف المشبه به (المستعار منه) وأبقى شيئاً من لوازمه عليه وهو (الجموح) على سبيل الاستعارة المكنية، قال الزمخشري: ﴿٢﴾ يَحْمَحُونَ يسرعون إسراعاً لا يرُدُّهم شيء، من الفرس الجموح، وهو الذي إذا حمل لم يرُدُّه اللجام (٤). ففي الاستعارة تصوير لتلك الاحالة النفسية المزعورة الخائفة التي تحس بالمطاردة تملك عليهم كل حواسهم فيسرعون إسراعاً إلى مخبأ يحتمون به من حصن أو مغارة أو نفق.. فهم يتسابقون لا إلى خير أو طاعة، وإنما يتسابقون من فزعهم الداخلي ورعبهم لالتماس المهرب والاختفاء.

ولا يخفي ما في هذا التصوير في الآية من سخرية بالغة وهي ترصد حركاتهم المادية (الجموح) تجسداً لما يعتري المنافقين من الخوف الشديد بوصفه طبيعة نابعة من دخيلة نفوسهم فهي ملازمة لهم.

دوران العين:

تختص هذه الكناية الساخرة بتصوير الحالة النفسية للمنافقين، كما اختصت بهم الكناية السابقة، إلا أننا نلاحظ في هذه الكناية أثر الخوف والرعب أكثر بروزاً ووضوحاً وهو

(١) سورة التوبة، الآيتان: ٥٦ - ٥٧.

(٢) ينظر: أسلوب السخرية في القرآن الكريم، ص ٣٢٠.

(٣) الكشف: ٢ / ٢٢٠.

(٤) نفسه: ٢ / ٢٢٠.

يرتسم بحركة دوران أعينهم، وذلك حينما يتعرّض المنافقون لموقف مخيف تضطرب له نفوسهم وقلوبهم خوفاً ورعباً. نقرأ هذه الكناية في قوله - تعالى: ﴿ قَدِمْ لَهُ اللَّهُ الْمَعْقِبِينَ مِنْكَ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا ۖ أَشِيعَةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَاءَ الْغَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْنِي عَنْهُ مِنَ الْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ الْغَوْفُ سَأَفُوكُمْ بِالسِّنِّ جَدَاوٍ أَشِيعَةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۝ (١) ﴾

﴿ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْنِي عَنْهُ مِنَ الْمَوْتِ ۖ ﴾ هذا التعبير القرآني يجسد حالة نفسية واضحة المعالم، تلك الحالة التي تعتري المنافقين عند الشعور بالخطر، حالة الخوف والرعب وهو يواجهون (القتال) ولكن القرآن يسميه (الخوف): ﴿ فَإِذَا جَاءَ الْغَوْفُ ﴾ وذلك لتصوير القتال في صورة الخوف الذي تكون منه حركة وسجيء، وفي ذلك يتجلى وقع القتال في النفوس المنافقة الفرعة الخاوية (٢) وتأثيره الذي يرتسم في أعينهم في صورة بارزة كما تصوّره الكناية ﴿ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ ﴾ المتواشجة مع التشبيه ﴿ كَالَّذِي يُغْنِي عَنْهُ مِنَ الْمَوْتِ ۖ ﴾ في إخراج المعنى.

والكناية ﴿ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ ﴾ متواشجة مع المجاز العقلي تصوّر أعينهم كلها تدور، والحقيقة: تدور أحداقهم في أعينهم باسناد الفعل ﴿ تَدُورُ ﴾ إلى المكان ﴿ أَعْيُنُهُمْ ﴾ ولكن شدة الدوران وسرعة تقلّبها خيل أن العيون كلها تدور، فليس الدوران دوران المحاجر والأحداق، ولكنه دوران العيون حتى الجفون والأهداب، وفي كل ذلك تصوير لقوة أعينهم الدائبة (٣) وبذلك تشير هذه الصورة الكنازية بقوتها التعبيرية المحسوسة إلى مقدار صفة خوفهم ورعبهم، فضلاً عن ضعفهم وتخاذلهم وفئورهم، وهي المعاني التي تصوّر ها المشبه به ﴿ كَالَّذِي يُغْنِي عَنْهُ مِنَ الْمَوْتِ ۖ ﴾ فهي سظهر الموت والاستسلام. فالصورة التشبيهية ترسم عيني المنافق حيث يشعر بالخطر على حياته، بأنهما أشبه بعيني شخص يغشاه الموت فتشل منه كل حركة، ويسكن منه كل عضو، إلا عينيه فجئما يدوران، دوران الضعف والاستكانة والرعب والفرع، ومشاعر وانفعالات كثيرة تُوحى بها الصورة التشبيهية، حين تصوّر حالة شخص يعاني سكرات الموت، ولكن البارز في نظرة المنافقين هو تعلقها بشخص الرسول

(١) سورة الأحزاب، الآية: ١٨-١٩. وينظر: سورة محمد، الآية: ٢٠.

(٢) ينظر: من أسرار التعبير القرآني، د. محمد أبو موسى، ص ٧٨.

(٣) ينظر: من أسرار التعبير القرآني، ص ٧٩.

كانهم يتشبثون به مستغيثين مستجيرين من شدة ما يراودهم من فزع^(١)، فهو الصراع النفسي الرهيب في نفس المنافق بين حرصه على اظهار غير حقيقته، وحرصه على حياته يكشفها القرآن ويجليها من خلال عيني المنافق التي منها يطل كل ما يدور في نفسه من انفعالات ومشاعر.

ولا شك في أن الصورة الكنازية فضلاً عن الصورة التشبيهية اللاتين جسدتا ذلك المشاعر النفسية والانفعالات تثير السخرية من المنافقين بوصفها هدفاً من أهداف هذا التعبير التصويري الهادف إلى ردع النفوس عن هذا التصرف بهذه الصيغة المحسوسة التي يمكن أن يتابعها الخيال يتملاً ها، وتتصاعد دلالة السخرية منهم عندما ينقلب خوفهم إلى خلافه حينما يحسبون بالأمن ﴿فَإِذَا ذَهَبَ لَئِقُوكُمْ بِالْأَسِنَّةِ جِدَاوٍ﴾ وهو تعبير يقف على التضاد في الصورة والمعنى مع ﴿فَإِذَا جَاءَ لَقُوكُ﴾ فيكشف التعبيران عن حالتين متباينتين أشد التباين. فبعد ذلك الخوف والفزع والموت والاستسلام إذا هم حين مجيء الأمن يتسلطون على المؤمنين إيذاءاً بالسنتهم سناً وشتماً بالصورة التي تعبر عنها الاستعارة ﴿سَلَوُكُمْ﴾، والسلق: "الضرب. وملكه بالسوط وملكه أي نزع جلده.. وملك الشيء بالأماء الحار يسلقه سلقاً: ضربه. وملك الأبيض والبقل وغيره بالنار: أغلاه.. ويقال: سلق اللحم عن العظم إذا انتجنته عنه"^(٢)، فاستعير السلق في الآية للإيذاء والعيب والإهانة بالقول، فشبه الإيذاء والعيب بالسلق. يجمع قوة التأثير والإيذاء، وفي ضوء ذلك يكون وصف الألسنة بالحداد من قبيل الترشيح لاستعارة السلق^(٣) فتجلى الاستعارة شدة إيذائهم للمؤمنين بعد ذهاب الخوف، وارتفاع أصواتهم بعد الارتعاش، وانتفاخ أوداجهم بالعظمية، وانتفاشهم بعد انزوانهم، وادعائهم في غير حياء ما شاء لهم الادعاء، من البلاء في القتال والفضل في الأعمال، والشجاعة، والاستبسال^(٤) بعد ذلك الخوف والموت والاستسلام المثير للسخرية منهم حين تُصَوَّر هذه المفارقة الضاحكة.

الخوالف:

- (١) ينظر: أسلوب السخرية في القرآن الكريم، ص ١١١ + ٣٢٢ + ٣٩١. وينظر: الكشف: ٣ / ٤١٩.
- (٢) لسان العرب: ١٠ / ١٦٠ وما بعدها (سلق).
- (٣) ينظر: من أسرار التعبير القرآني، ص ٨٠.
- (٤) في ظلال القرآن: ٦ / ٥٥٧.

تستهدف هذه الكناية الساخرة المنافقين أيضاً فتثير الضحك والسخرية منهم، وتجسد حالتهم النفسية المستكنية الخائفة من القتال والتي تجعلهم يخلقون المعاذير ليتخفوا عن مشاركة الرسول ﷺ والمسلمين في الجهاد، فتتكشف دخيلتهم في ضوء النهار في صورة بالغة السخرية، وذلك في قوله - تعالى -: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَقْبِلُوكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١)

قال الزمخشري: " فإن قلت: ﴿ رَضُوا ﴾ ما موقعه ؟ قلت: هو استئناف كأنه قيل: ما بالهم استأنفوا وهم أغنياء؟ قيل: رضوا بالدناءة والاضعة والانتظام في جملة الخوالف ﴿ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ يعني أن السبب في استنذانهم رضاهم بالدناءة وخذلان الله تعالى إياهم (٢) "

والكناية الساخرة تتمثل في قوله - تعالى -: ﴿ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ ﴾ وهي قائمة في بنيتها على الاستعارة التصريحية حيث عني بالخوالف وهي - الأعمدة التي تكون في أواخر بيوت الحي - النساء، فشبههن لكثرة لزوم البيوت بالخوالف التي تكون في البيوت (٣) وفي ذلك توبيخ للمنافقين وتقرير، فقد اختاروا بأن يكونوا مع النساء ومع المرضى والعجزة المتخلفين عن الجهاد بعذر، فمن ضعفهم واستكانتهم يحتمون بالنساء الخوالف مؤثرين الراحة والدعة على المشقة والجهاد، والاستعارة ليست غاية بذاتها وإنما هي وسيلة فاعلة في تقريب صورة الكناية وإبراز دلالتها الساخرة في الكشف عن جبنهم وخوفهم من القتال الذي يدفعهم إلى الاحتماء والاستتار خلف النساء والمرضى والعجزة، وبذلك تتجلى السخرية منهم، لأن تصور المنافقين وهم يحتمون بهؤلاء هو تصور طريف يثير السخرية منهم.

أكل الطعام:

يسخر القرآن من الذين يعدّون الوهبة المسيح ﷺ بكناية ساخرة مهذبة سامية تتجافى عما تنفر منه النفوس، والتسامي في التعبير هو أحد خصائص الكناية القرآنية حيث تتجنب دائماً زبوا الألفاظ، وقبح المعنى فتسمو باللفظ والمعنى وتحقق هدفها في صورة

(١) سورة التوبة، الآية: ٩٣، وينظر: الآية ٨٧ من السورة نفسها.

(٢) الكشف: ٢ / ٢٣٦.

(٣) ينظر: تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص ١٤٨. وينظر: صفوة التفاسير: ١ / ٥٥٦.

مؤثرة، لاحظ ذلك في قوله - تعالى - ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ
الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَاكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظَرْ كَيْفَ بُيِّنْتُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظَرْ
أَنْ يُوَفَّقُوا﴾ (١).

الكناية الساخرة ﴿كَانَا يَاكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ وهي كناية سامية تترفع عن التصريح
(٢) عن المعنى المقصود، فترسم بظاهاها المسيح وأمه - عليهما السلام - وهما يأكلان
الطعام بوصفه حاجة ضرورية للبشر، فالمسيح وأمه لا علاقة لهما بالالوهية قط، وأنهما من
البشر، يجري عليهما، ويصدر منهما سائر ما يجري وما يصدر من البشر، وبخاصة في
أشد الأمور التي لا يمكن تصورهما مع الالوهية - كما أوحى الكناية في لازم معناها
المقصود وهو ((قضاء الحاجة)) (٣) كالبول والغائط وسائر السلوك والغرائز البشرية التي
كنى عنها بـ ﴿يَاكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ ترفعاً ودسامياً يسخرية القرآن بأن تنزل إلى مستوى
سخرية البشر، فالقرآن يرمز لذلك بشيء واحد ﴿كَانَا يَاكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ لأن أكل
الطعام تتبعه أشياء كثيرة، يتسامى القرآن عن ذكرها، ويكتفي الإشارة إليها (٤). فالقرآن
يسمو في لفظه ومعناه عما تجفوه النفوس، ولو جاءت الآية الكريمة مصراحة بالتعبير عن
قضاء الحاجة لتولد في نفس المتلقي انفعال منفّر ومقرّر، للانطباعات المرددة في ذهنه
عنها، إذ تنتقله إلى تلك الصورة التي اختزنها في مخيلته عنها (٥). في حين إنّ الكناية في
دلالاتها الإيحائية، فضلاً عما ولدته من انفعال إيجابي محبّب في المتلقي وملائم لتقبّل
الصورة (٦) فإنها ركزت على "المضمون وعلى الهدف، والتركيز على المضمون هنا
واضح رغم بساطة التعبير في ظاهره، لأن القضية هي ادعاء بعض الناس ذنوب المسيح
إلى الالوهية، وغاية السخرية ممن يدعون ذلك ويعتقدونه، أن يقال لهم تصوّروا أن الهأ يأكل
الطعام، ثم يأتي الغائط، وسائر ما يأتئيه الناس، ومجرد رسم هذه الصورة في مقام ادعاء
الالوهية بالغ الرّد والتهم بقائلي هذا القول والهدف واضح، وهو ردهم إلى المنطق السليم

(١) سورة المائدة، الآية: ٧٥.

(٢) ينظر: الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، ص ٢٣٣.

(٣) ينظر: المنتخب من كليات الأدباء وإشارات البلغاء، ص ٦. والعمدة: ١ / ٢٦٨. وينظر: الإحسان
في علوم القرآن: ٣ / ١٤٤.

(٤) ينظر: الكشف: ١ / ٥١٧-٥١٨. ومن بلاغة القرآن، ص ٢٢٧.

(٥) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، ص ٢٣٣-٢٣٤.

(٦) المصدر نفسه، ص ٢٣٣. وينظر: التعبير الفني في القرآن، ص ٢٠٢.

والتفكير القويم" (١) ويتجلى الهدف في التعليق على الصورة: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ بُنِيَ لَهُمُ
الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنَّ يُوقَفُوكَ﴾.

ففي الكناية تحشد تلك المعاني والإيحاءات على بساطتها وإيجازها في تنفيذ اعتقادهم
الفاقد في صورة تثيير السخرية منهم والضحك.

الأخذ بالنواصي:

وفي سياق قصة عاد قوم هود عليه السلام يقدم القرآن كناية تصويرية تسخر من عاد
الجبارين الظالمين، وذلك في قوله - تعالى - على لسان نبيهم مخاطباً لهم: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ
رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيئِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٢)

جاء في تفسير هذه الآية: "ولما ذكر توكله على الله وثقته بحفظه، وكلاءته من
كيدهم، وصفه بما يوجب التوكل عليه من اشتغال ربوبيته عليه وعليهم، من كون كل دابة
في قبضته وملكته وتحت قهره وسلطانته، والأخذ بنواصيها، تمثيل لذلك ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ﴾ يريد أنه على طريق الحق والعدل في ملكه، لا يفوته ظالم، ولا يضيع عنده
سعتصم به" (٣).

الكناية قوله تعالى: ﴿مَا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيئِهَا﴾ وهي صورة حسية توحي
بمعناها المكنى عنه المتمثل في قدرة الله العظيمة التي تقهر كل شيء، فهو في قبضتها
سقهوراً، وسلطانه الشامل في ملكه لا يند عنه شيء، كما توحي الكناية بعدالة الله المطلقة
في ملكه القائم على الحق.

وايحاء العدالة والحق في الكناية، فضلاً عن القدرة القاهرة التي تأخذ بناصية كل
دابة - بما فيهم قوم عاد - تتجلى في صورة واضحة وعلى نحو حسي غليظ وهو ما يناسب
السياق مع قوم عاد في غلظتهم وشدهم، وتناسب غلظ حسهم ومشاعرهم كما أخبر عنهم
القرآن: ﴿فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ
هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ (٤).

(١) أسلوب السخرية في القرآن الكريم، ص ١٢٧.

(٢) سورة هود، الآية: ٥٦.

(٣) الكشف: ٣١٦ / ٢.

(٤) سورة فصلت، الآية: ١٥.

كما أنّ لفظ دابة في الكناية - وإن كان يشكل كل ما يدب على وجه الأرض - إلا أنها في هذا السياق تلقي ظلها ظل البهيمة على قوم عاد، فهم كالبهائم بل أضلّ سبيلاً، فهم قد عطّلوا ما وهبهم الله من وسائل للهداية والإيمان من سمع وأبصار وأفئدة، كما أخبر عنهم القرآن في موضع آخر ﴿... وَحَمَلْنَا لَهُمُ مَنَعًا وَأَبْصَرَ وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغَفَتْ عَنْهُمْ مَنَعُهُمْ وَلَا ابْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَرِّهِمْ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (١) ومن وراء هذه الصورة الكنائية التي تصوّر - من ضمن ما تصوّر - قوم عاد الغلاظ الشداد دواب من تلك الدواب المأخوذ كل منها بناصيتها فهي مقهورة مغلوبة، نلاحظ إحياء السخرية والتهكم بهم، تسخر منهم ومن قوتهم.. والكناية تسخر كذلك من كل متجذّر عابّ غليظ وهو مأخوذ بهذه الصورة القاهرة الساهرة. وهذه هي سنة الله في الكافرين الظالمين ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٢)

وبذلك يتجلى من خلال الكنايات الساهرة التي عرضها الفصل أن الكناية الساهرة هي ليست مجرد أسلوب تعبيرى وتصويرى يبعث على الضحك أو مجرد تهجم أو هجاء أو تهوين شأن من الخصم فحسب، وإنما هي - أيضاً - وسيلة حيوية لتحقيق أهداف على جانب كبير من الأهمية، سواء من الناحية النفسية أو من الناحية الاجتماعية.. وهي (الكناية الساهرة) في طبيعتها سلاح يستخدمه القرآن ضد أعداء المسلمين.. وهي - في الأعم الأغلب - تستهدف أئمة الكفر والشرك الذين يسدون العداء للإسلام والمسلمين بكل ما أوتوا من قوة.. لذلك ميّزهم القرآن بتعابير كنائية ساهرة تنال منهم ذليلاً مولماً، إذ قامت الكناية بوصفها أسلوباً تعبيرياً وتصويرياً حيويّاً بذصبيها الفني في أداء المعاني والأفكار التي قصد القرآن إليها، ولو أن تعابير حقيقية أخرى غير الكناية لما استطاعت أن تنهض بما نهضت به الكناية تعبيراً وتصويراً في مواضعها التي اختارها القرآن.

(١) سورة الأحقاف ٢ من الآية: ٢٦.

(٢) سورة هود، من الآية: ٥٦.